هو العليم

أهمية استقامة المؤمن في طريق الحقّ

كيف نرى "ليلى" بعين تلوّثها رؤية الأغيار؟

شرح دعاء أبي حمزة الثمالي – سنة ١٤٢٨ هـ – الجلسة الحادية عشرة

محاضرة القاها

آية الله الحاج السيّد محمّد محسن الحسينيّ الطهراني

قدّس الله سره

@MadrastAlwahy

أعوذُ بِاللَه مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم

بِسمِ اللَه الرَّحمَنِ الرَّحيم

وصلَّى اللَه عَلَى سيدنا و نبينا أبى‌القاسم مُحَمّدٍ صلّى الله عليه وآله

وعلى آله الطّيبين الطّاهرين و اللعنة عَلَى أعدائِهِم أجمَعينَ

لسان أخرسه الذنب وقلب أهلكه الجرم

«أَدْعُوك يا سَيدِى بِلِسَانٍ قَدْ أَخْرَسَهُ ذَنْبُهُ رَبِّ أُنَاجِيك بِقَلْبٍ قَدْ أَوْبَقَهُ جُرْمُه».

مولاي! أدعوك بلسانٍ أخرسته ذنوبه عن ندائك، وأناجيك بقلبٍ أهلكته جرائمه.

كيف يصدر الوجود عن الذات الإلهيّة: ظهور أم انفصال؟ (الحقيقة الربطيّة)

ذكرنا في الجلسات السابقة أنّه في مسألة "ارتباط أفعال الإنسان باللَه"، يُلحظ جانبان:

الجانب الأول هو مقتضى **"التوحيد الأفعالي"**، و**"التوحيد الصفاتي"**، و**"التوحيد الذاتي"**. فأصل الوجود وجميع آثاره يعود إلى إرادة وهوية ذات الباري تعالى؛ وكما أنّ أصل الوجود ينشأ من ذات الباري تعالى [فكذلك الصفات والأفعال]، ولا يعني ذلك أن وجود الموجودات ينفصل عن ذاته تعالى، إذ لا شيء ينفصل عن ذات اللَه. فمثلاً عندما تسكب نصف الماء الموجود في هذا الكأس في كأس آخر، يكون هذا النصف قد انفصل عنه، ولكن نشأة ذوات الموجودات من ذات اللَه ليست نشأة انفصال، ولا انعزال، ولا افتراق، ولا ابتعاد، بل هي نشأة ظهور، لا نشأة انعزال وافتراق. لأنّه مع الاعتقاد بالوجود الواحد غير القابل للتقسيم وغير القابل للتجزئة لذات اللَه، فإنّ رؤية وجودٍ ثانٍ ولحاظه يُساوق الاستقلال

في الوجود، والاستقلال في الوجود يستلزم الاختلاف في هويّة الوجود، وبالتالي تلزم الحاجة والإمكان [في ذات اللَه] والتدلّي بعلل أعلى منه، وكلّ هذا باطل.

بناءً على ذلك، فإنّ حقيقة الموجودات نفسها، وذواتها وصفاتها وأفعالها التي تتحقّق في العالم، هي ـ بأصلها وحقيقتها الواقعيّة ـ ظهور حقيقة الوجود في عالم الإمكان، سواء تحقّقت هذه الموجودات في عالم المجرّدات، أم في عالم الصّورة والمثال وهو نوع ضعيف من التجرّد، أم في عالم المادّة وهو أدنى مراتب التجرّد، والذي يُعبّر عنه بـ "عالم الكون" و "عالم الفساد".

ولتعلموا أيضًا أنّ المادة ليست منفصلة عن المجرّد؛ بل المادّة هي الصورة الضعيفة للمجرّد، وليست شيئًا منفصلاً عنه بحيث يكون الاختلاف بينهما اختلافًا ماهويًّا يستلزم افتراق الحقيقة المجرّدة وانعزالها عن الحقائق الماديّة، كلّ هذا باطل، كلا!

الصورة النازلة للحقيقة المجرّدة هي هذا الفعل نفسه الذي يتحقّق في الخارج. لا أحد يعلم بالنيّة التي تضمرها، فكيف يطّلع الآخرون على تلك النية؟ عندما تظهر تلك النية بصورة مادية ظهورًا خارجيًا. فبمجرد أن تكره شخصًا، فإنك تعبس في وجهه فور لقائه، فيتضح أنك تكره رؤيته. أو عندما تُسرّ وتسعد وتفرح برؤية أحدهم، يتهلّل وجهك وتبتسم، وهذا التبسّم بحدّ ذاته يحكي عن شعورك بالمسرّة لرؤيته. أو عندما تتعجّب من أمرٍ ما، تتّخذ هيئة التعجّب والتفكّر، فيدرك من يراك لا محالة أنّك قد تعجبت من هذا الموضوع المطروح. هذا الاختلاف الصوري الذي يبرز على وجه الإنسان، من أين أتى؟ وما منشؤه؟ وأين جذر هذا الاختلاف؟ يكمن الجذر في تلك النيّة والإرادة والحقيقة النفسيّة، والتي هي عبارة عن التصوّرات والتصديقات والقضايا الكائنة في نفس الإنسان، وبروزها وظهورها الخارجيّ يكون بهذا الشكل. ومن الممكن ألا يظهر ذلك ظهورًا خارجيًّا؛ فلو استأتَ

من إنسان ما، يمكنك أن تضحك في وجهه عند لقائه، فيظنّ أنك معجب به كثيرًا.

تجلّي الجمال في صورة الجلال (قصة مجنون ليلى)

أو لنفترض أنك تعبس في وجه من تحبّه كثيرًا بهدف تأديبه، فهذا العبوس لا يحكي عن غضب، بل هو عين الجمال الذي تجلّى بصورة الجلال:

اگر با دیگرانش بود میلی * چرا ظرف مرا بشکست لیلی**

يقول: لو كان لليلى هوىً بغيري *** فلِمَ كسرت جرّتي وحدي؟!

فهذا الكسر للجرّة أفضل عند مجنون ليلى ألف مرّة من إعطائه اللبن وإظهار المحبّة، وفيه حلاوة أكبر وأسرار ومسائل لا يفهمها إلا مجنون ليلى.

أسرار لا يفهمها إلا أهلها: قصة الصديقين المتناجيين بالنظر

میان عاشق ومعشوق رمزی است * چه داند آن‌که اشتر می‌چراند (خر می‌چراند)**

يقول: بين العاشق والمعشوق سرٌّ *** فما يدري به راعي الجمالِ (أو الحميرِ)

هؤلاء لا يعلمون أي رموز وأي أسرار توجد بين المحبّ والمحبوب! فالأسرار والحقائق التي بين المحبوب والمحبّ خاصة بهما. وذلك الجالس إلى جوارهما لا علم له بهذا الأمر، ولا يدرك شيئًا. كان هناك صديقان ـ رحمهما الله ـ في مجلس كنتُ حاضرًا فيه، وكان مجلس فرح، تفصل بينهما مسافة أربعة أو خمسة أمتار تقريبًا. خلال الساعتين اللتين قضياهما في المجلس، كان واضحًا أنهما يتبادلان التحيّات والأخبار بشكل كامل! لم يتحدّث هذا مع أحد ولم يتحدّث ذاك. وبعد أن شرحا لنا التفاصيل، اتّضح أيّ مواضيع تمّ تبادلها في هذا السياق بحيث لم يطّلع عليها أحد. هذان كانا شخصين عاديين. شخصان لهما حالات جيّدة، ولكنّ تلك الحقائق الربطيّة التي تكون في مراتب السرّ بين أولياء الله وبين الذات الإلهيّة، ما شأنها أصلاً؟ نحن لا نعلم عنها شيئًا أبدًا، ولا يمكن التعبير عنها باللسان أو القلم.

فاللغة التي يمكن أن تُعبّر عن ذلك الربط لم تُوضع بعد في قواميس لغات العالم. ذلك لأنّ مراتب المفاهيم والمعاني في القواميس اللغويّة، وفي معاجم اللغات في العالم، مبنيّة على المفاهيم العرفيّة المتعارفة، وهذه المفاهيم العرفيّة المتعارفة لا تتجاوز حدود المسائل والقضايا الماديّة وما يتّخذ طابع الصورة ويبتعد عن المادّة إلى حد ما. أما عندما تتجاوز الحقائق عالم الصورة، ولا يبقى سوى نفس التعلّق والربط، فأيّة ماهيّة يمكن تصوّرها حينئذ ليضع الإنسان لها لفظًا؟ ذلك الارتباط الذي بين العاشق والمعشوق، هل يوجد له لفظ؟ هل هناك من يقوله؟ أنقول "تعلّق"؟! وأين التعلق [من حقيقة الأمر]؟! أنقول "ارتباط"؟! الارتباط لفظ كليّ، ولا يمكن أن نلحظ فيه أي لطافة.

قصة مجنون ليلى: لماذا لستَ بمجنون أيها الخليفة؟

گفت ليلى را خليفه كان تويى * كز تو مجنون**

شد پريشان و غوى

از دگر خوبان تو افزون نیستی * گفت:**

خامش! چون تو مجنون نیستی

يقول:

قال الخليفة لليلى: أأنتِ هي التي *** هام بها المجنون وافتُتِن؟!

لستِ بأجمل من سائر الحِسان! *** قالت: صه! ما أنت بالمجنون!

قال عبد الملك بن مروان: أحضروا ليلى لنرى من هي هذه التي ملأ صيتها العالم! هل جاءت من القمر أم من كوكب الزهرة؟ هذا المجنون الذي يبدي كل هذا الجزع! لا تظنّوا أن المجنون كان صعلوكًا تائهًا في البيداء! كلا، لقد كان ابن أحد رؤساء القبائل العربيّة وابن عمّ ليلى، وكان ذا شخصيّة مرموقة جدًّا، وله أشعار أعتقد أنّه يجب على أهل الفضل والعلم وأهل الطريق أن يطالعوها حتمًا.

إن أشعار قيس بن الملوّح العامري، وهو المجنون المعروف، من أسمى وأرقى وألطف وأظرف الأشعار العرفانية والسلوكية. له أشعار عجيبة ولطيفة!

يقول:

تمنّيتُ من ليلى على البُعد نظرةً * لتُطفي جوىً**

بين الحشى والأضالعِ

جرى طمعي في حبّ ليلى بما جرى * وليلى**

توارت عن عيوني في الورى

تمنيت من بعيد، ولكنّهم لا يسمحون لنا بالدخول!

من هي ليلى؟ لا تتصوروا أنها من قصص الحب والغرام السوقية الرائجة بين الأراذل والسوقة:

عشق‌هایی کز پی رنگی بود * عشق نبود**

عاقبت ننگی بود!

يقول: كلّ عشقٍ يتبع الألوان تزهو *** ليس عشقًا؛ منتهاه ذات يوم عارٌ!

كلّ من المجنون وليلى كانا من أهل الجدّ والعمل؛ أي أنّ عملهما وبرنامجهما لم يكن اعتباطيًّا، لكن تلك المحبّة الإلهيّة تجلّت بهذه الصورة، ثمّ تغيّرت هيئتها، وفي النهاية أصبحت ذات حقيقة توحيديّة. ويروون عن مجنون ليلى قصصًا تدلّ على ما آل إليه أمره في آخر عمره...!

تمنّينا نظرة واحدة، أن تأتي ليلى وتمرّ فننظر إليها من بعيد، فتخمد تلك النار المستعرة في الجوانح والصدر.

"والله نفس أبيه بين جنبيه": شجاعة الحسين (ع) وإباؤه (نموذج لفكرة التجلّي)

أذكر أنّ أحد الأعاظم كان يذكر هذه العبارة المتعلّقة بسيّد الشهداء عليه السلام في يوم عاشوراء، وأنّه أظهر في يوم عاشوراء من نفسه شجاعة عظيمة إلى درجة أنّ الجميع تذكّروا شجاعة أمير المؤمنين عليه السلام وبسالته، وكانوا يقولون في حقه:

«هذا ابن قتّال العرب، واللهِ نفسُ أبيه بين جنبيه».

"نفس أبيه" في صدره. إما "نفسُ أبيه" أو "نفسًا أبيّة"، فالكاتب لم يضع الحركات والتشديد. ومثل هذه الأمور كثيرة في الروايات وتسبّب شبهات وإشكالات.

ولا فرق، فإمّا "نفسًا أبيّة"؛ أي نفسًا تأبى وترفض، لا تخضع للظلم، ولا يطأطئها التهديد. نفسًا لا يذلّها التشجيع ولا يحطّ من قدرها، وهي دائمًا في مقام الإباء، أي الحريّة. كان الإمام الحسين عليه السلام دائمًا حرًّا مرفوع الرأس، وسيبقى رأسه مرفوعًا إلى قيام الساعة. البعض يطأطئون رؤوسهم، تسبقهم أحذيتهم بمترين، ويظنون أنّ الظهور بهذا الشكل بين الناس مفخرة لهم. كلاّ يا عزيزي!

ربوبية زائفة: حقيقة المُلك والسلطة الدنيوية

"نفسًا أبيّة"؛ نفسٌ تأبى، فيها حريّة وإباء، هي مظهر لجلال الحقّ ما دام اللّه إلهًا. أما نحن فنمارس الألوهيّة لأربع سنوات ثمّ تنتهي صلاحيّتنا ونذهب لشأننا. ٦ سنوات، ٨ سنوات، ١٠ سنوات، مُلك! مُلك مدى العمر، الملوك والسلاطين، إما ينتقل المُلك إلى الأخ أو إلى الابن. مثل الميراث، الأوقاف! جيلاً بعد جيل! والنزاعات تكون حول الوقف. يأتون بالعصيّ والهراوات، يقول أحدهم: هذا الوقف من حقّي، ويقول

الآخر: كلا، هو من حقّي! كل هذا مُلك وألوهيّة، وكل هذه مقامات ربوبيّة. الكلّ يقول "أنا"! لا أحد يقول "هو". أنا يجب أن أكون المتولي. حسنًا، لا تكن! هل ستصاب بمغص معويّ؟ هل ستصاب بالاختناق؟ أنا يجب... حسنًا لا تكن أيها المسكين! أيها البائس، لو لم تكن متوليًا لكنتَ أكثر راحة! في هذه الدنيا تسمع كلامًا أقل: أكل الميراث، استولى على المال! هذه سنة هذه الدنيا! الآن خذ هذه الدنيا، ثمّ اذهب إلى ذاك العالم وستفهم! قد أعدّوا لك [العقاب] على بعد نصف متر أو متر، وهكذا. أعدّوه جاهزًا، بأشكال مختلفة، لكي يدلّلوك به! كلّ هذه ربوبيّة؛ الحكومات والسلطنات والإدارات كلها ربوبيّة. كلّ هذا الصراع بيننا لنصبح رؤساء، ما هو؟ له تاريخ صلاحيّة، أربع سنوات، شهر واحد، سنة واحدة، أو سنتان. هل يستحقّ الأمر حقًّا أن يضرب بعضنا رؤوس البعض الآخر من أجل شهر واحد من الرئاسة؟! عجبًا والله أيّة مدرسة قدّموا لنا ولم نعرف نحن قدرها! مَن هؤلاء الذين جاؤوا وبيّنوا لنا اعتباريّة هذه الأمور؟!

كوننا نضحك الآن، هذا الضحك لم يأتِ عبثًا. أنا على يقين بأنّ أصدقاءنا ورفقاءنا هم من جملة أولئك الذين لو وُضعوا في مثل هذه الظروف والمواقف لضحكوا. أنا متأكّد. لماذا نضحك؟ لأننا فهمنا أمورًا وأدركناها، ولم نأتِ بها من عند أنفسنا. هم من تحمّلوا العناء والتشرّد وقاموا بالأعمال، وهم من ذهبوا إلى المستشفيات وقاسوا ألف مصيبة، ونحن جلسنا على المائدة جاهزة.

قيمة لا تُقدّر بثمن: قصة المرحوم العلامة **والمطالعة**

كنتُ قادمًا إلى طهران مع **المرحوم العلامة** الوالد، كنّا في الطائرة. كانت عينه قد أصيبت بمرض وكان من المقرّر أن يأتي إلى طهران لإجراء عمليّة جراحيّة، فقال لي: يقولون لي: ربّما ابتُليتَ بهذه الأمور بسبب كثرة المطالعة وكثرة الكتابة، ليتك تقلّل من عملك أو كنت قد قلّلت منه. يا سيّد محسن! اعلم أنني لو قُطّعتُ إربًا إربًا، لن أتخلّى عن المطالعة والكتابة. العين لا شيء... هذا كلام كان يقوله رحمه الله. كان رفقاؤه يعلمون أنه لا يقول مزاحًا، ولم يكن بحاجة إلى التواضع أو المزاح.

وقد قلتُ سابقًا: لو علمتَ أن في يدك جوهرة، فلو قال كل العالم إنها خزفة أو خرزة رخيصة، فلن تستاء؛ «لَوْ كانَ فِی یدِك جَوْزَةٌ وَ قَالَ النَّاسُ فِی یدِك لُؤْلُؤَةٌ، مَا كانَ ینْفَعُك وَ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهَا جَوْزَةٌ وَ لَوْ كانَ فِی یدِك لُؤْلُؤَةٌ وَ قَالَ النَّاسُ إِنَّهَا جَوْزَةٌ مَا ضَرَّك وَ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهَا لُؤْلُؤَة»[1].

لو قال كل الناس يا سيّد في يدك جوهرة، وأنت تعلم أنها خرزة رخيصة، خزف، خرزة حمار، وأنت ممسك بها بقوة وتقول إنّها جوهرة. إن كنت صادقًا، فافتح يدك! تعال ناقش وتكلّم.

"سلوني قبل أن تفقدوني": ثقة أهل الحق بعلمهم

كان الإمام الصادق عليه السلام يجلس ويقول من أراد فليأتِ للمناظرة، لم يكن يهرب. كان أمير المؤمنين عليه السلام يجلس في مسجد المدينة ويقول: من أراد فليأتِ وليناظر، اليهود والنصارى والمجوس، من مختلف الأقوام، تعالوا «سَلُونِی قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِی». كان يرفع رأسه شامخًا ولا يخجل؛ ولم يكن يطأطئ رأسه! بل يقول

---

[1] بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٢٩٩

بصراحة: «سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَإِنِّي بِطُرُقِ السَّمَاوَاتِ أَخْبَرُ مِنْكمْ بِطُرُقِ الأَرْضِ»[1]. ومهما سألوه، لم يكن يقول: لا أعلم. لو أنّ الإمام عليه السلام لم يُجب، لكان قال مثلنا: لقد حصل البداء في هذه المسألة، لذا سنجيب عنها لاحقًا. الإمام عليه السلام لم يقل: حصل البداء. يا للسخافة! لا أعلم، وأمثال هذا الكلام! بل تكلّم وثبت على كلامه. وأبناؤه كذلك حتّى الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه. الآن أيضًا الإمام المهدي يقول: «سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي». كلامه الآن هو نفسه كلام آبائه. لكنّ المصلحة الإلهيّة تقتضي أن يكون الإمام في غيبة. وعندما يظهر الإمام سيقول هذا الكلام نفسه بلا فرق. والإمام الباقر عليه السلام أيضًا يقول لأبي حمزة: «يا أبا حمزة يخرج أحدكم فراسخ فيطلب لنفسه دليلا وأنت بطرق السماء أجهل منك بطرق الأرض فاطلب لنفسك دليلا»![2] الأئمة عليهم السلام كانوا جميعًا هكذا، لماذا؟ لأنّ في

---

[1] ينابيع المودة: ٣ / ٢٠٨ وص ٢٢٣.

[2] الكافي: ج ١، ص ١٨٤، ح ١٠.

أيديهم جوهرة. وعندما تكون هناك جوهرة، فليأتِ من يشاء ليناقش وليسأل عن مسألة أو حكم أو فتوى أو دلالة أو إرشاد، لا فرق، لأنّ في يده جوهرة. أمّا أنا فلا، لأنّ في يدي خرزة رخيصة، جوزة. ولكنّي أضع نفسي مكان الإمام الصادق وموسى بن جعفر والإمام السجاد عليهم السلام، فعندما أفتح يدي ويعلم الجميع أنّ في يدي خرزة رخيصة، لن يبقى لهذا الدكّان زبون. فإذن يجب أن أبقي يدي مغلقة دائمًا وألزم الصمت، لا أكتب شيئًا، ولا أقول شيئًا، ولا أتحدّث مع أحد، وفقط آتي وأذهب هكذا، أو أصلّي جماعة، أو لنفترض أجلس ليُقبّلوا يدي، ولكن عندما أتكلّم، ينكشف أمري:

تا مرد سخن نگفته باشد * عيب و هنرش نهفته باشد**

وما لم يتكلّم المرء يبقى *** العيب منه والفضل مستورًا

ولكن عندما يتكلم، يتّضح هل في يده جوهرة أم خرزة رخيصة؟

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَإِنِّي بِطُرُقِ السَّمَاوَاتِ أَخْبَرُ مِنْكمْ بِطُرُقِ الأَرْضِ». اسألوا ما شئتم، وقد سألوا وأجاب الإمام عليه السلام.

"هيهات منا الذلة": موقف الإمام الحسين (ع) من بيعة يزيد

ورد في حقّ سيد الشهداء عليه السلام: «واللَهِ نفسُ أبيه بين جنبيه». عندما جاء يوم عاشوراء، كان كأنّما أمير المؤمنين عليه السلام قد ظهر! تجلّيه كان كتجلّي أبيه. تلك النفس التي كانت في وجود أبيه والتي وقفت في وجه الخلفاء ولم يستطع التهديد أن يضعفها، ولم تستطع الوعود أن تخضعه وتركعه، تلك النفس بعينها جاءت إلى هنا لتقول [ما معناه]: تبًا لآباء يزيد وابن زياد كلّهم... أتريدون إجباري على التسليم؟! «أَلَا إِنَّ الدَّعِيَّ ابْنَ الدَّعِيَّ، قَدْ رَكزَ بَينَ اثْنَتَينِ، بَينَ السَّلَّةِ وَ الذِّلَّةِ وَ هَيهَاتَ مِنَّا الذِّلَّةِ». هذا ابن الزنا جاء يخيّرني بين العزّة والذلة؟ أأنا أقبّل يدي ورجلي يزيد؟ أأنا أطلب العفو؟ أأنا أضع يدي في يده وأبايعه؟ ماذا يقول هذا؟ أحمق!

هذا كلامك عارٌ أبديٌّ لرجل يسير في الشارع، فما بالك بشيعة عليّ المرتضى عليه السلام، فما بالك بالأولياء، وأنا ابن النبيّ؟ ماذا تقول؟ يقول الإمام عليه السلام: هذا الكلام يجلب عارًا أبديًّا لإنسان عادي، فكيف يأتي أيّ رجل يحمل اسم إنسان ويضع يد التسليم والبيعة في يد رجل شرّيب للخمر، مقامر، يلاعب الكلاب، يلاعب القرود؟ لو فعل أيّ إنسان هذا، لكان على الناس أن يشيروا إليه بالبنان ويطردوه طوال عمره، كيف يسمح لنفسه بأن يدوس على مقام الإنسانيّة والصلة بربّه ويُبايع رجلاً مثله بل أحقر وأذل وأوهن منه بكثير من حيث المسائل الأخلاقيّة والثقافيّة والعلميّة والاعتقادات والمباني؟ فما بالك برجل يصلّي ركعتين وهو معتقد بالله ومؤمن، برجل شيعيّ، رجل قد قطع شوطًا في الطريق، وليّ لله، ثمّ إنسان مثلي إمامٌ للخلائق... بماذا تفكّر؟ أين أنت؟ أين أنت أصلاً؟ هيهات! أي اذهب ولتأخذ هذه

الأمنية معك إلى القبر حتّى قيام الساعة، ما دام اللّه إلهًا.

أمر عجيب جدًا، أنؤثر طاعة اللئام على الموت؟

قصة طريفة: "جنبيه" أم "جبينه"؟

وأذكر أن أحد السادة في ذلك الوقت ـ وكان ذا شأن وفاضلاً رحمه اللّه ـ قرأ هذه الرواية على المنبر هكذا: «واللّه نفس أبيه بين جبينه». قرأ "جنبيه" "جبينه". وهي مسجلة في شريطه أيضًا. أذكر أنه جاء يومًا إلى منزل المرحوم الوالد، وخلال الحديث، كان هو أيضًا قد استمع للشريط المسجّل. كان هذا في زمن الشاه. فقال له الوالد: هذه "جنبيه"، وأنت تقول "جبينه". فقبل هو بذلك. رحمهم اللّه جميعًا. النفس ليست في الجبين، ولا معنى لأن يقال: نفس فلان في جبينه. كلاّ، في الجنب الذي يُفهم منه الصدر والقلب من باب تشبيه المعنى بالأمر الظاهر، فمن هذا الباب يأتي هذا التشبيه هنا.

كيف ترى ليلى بعينٍ رأت سواها؟

«لتطفي جوى بين الحشى والأضالع»؛ حتى تنطفئ نار الباطن، التي هي نار ليلى.

فقالت نساءُ الحَيِّ تَطمعُ أن ترى *** بعينِكَ ليلى؟

مُتْ بِداءِ المَطامِعِ

جاءت نساء القبيلة وقلن: ما هذه الأوهام التي في رأسك؟ أتريد أن ترى ليلى؟ بهذه العين تريد أن ترى ليلى؟ مُتْ في حسرة هذه الأماني، وفي مرض هذه الآمال التي لا تتحقّق، وفي علّة هذه الطموحات العالية التي ليست لأمثالك! وخذ هذه الأمنية معك إلى القبر.

وكيفَ تَرَى لَيلَى بِعَينٍ تَرَى بِهَا *** سِوَاهَا؟ وَمَا

طَهَّرْتَهَا بالمَدَامعِ

كيف تريد أن ترى ليلى بتلك العين التي رأيت بها غيرها؟ يقول كلامًا عجيبًا جدًّا وأنا أتعجّب، مجنونٌ وكلّ هذا الفهم! هو لم يشتغل بالذكر ولم يقرأ ذكر السجدة اليونسيّة ولم يقل: لا إله إلا الله. فكيف يتأتّى منه كلّ هذا الفهم والدراية؟ عجيب جدًّا! يقول: كيف يمكنك أن ترى ليلى بهذه العين التي رأيت بها الآخرين؟! العين التي وقعت على الآخرين لا يمكنها أن ترى ليلى. ماذا يعني هذا؟! يعني العين التي التفتت إلى الآخرين. أنت يا من

لديك ليلى، لماذا التفتَّ إلى الآخرين؟ لماذا ألقيت نظرك على مظاهر أخرى سوى ليلى؟ هل يجدر بك أن يكون لك أحدٌ غير ليلى؟

لماذا يبحث البعض عن غير "ليلى" وهم في حضرتها ؟ (نقد التذبذب في السلوك)

كانت إحدى المصائب التي نواجهها في زمن **المرحوم العلامة** هي هذه، فبعض الناس تُبطرهم النعمة، وعندما يكون المرء بصحبة عظيم ويرى حالاته وحركاته ولا يترك له أي فراغ في وجوده، يبدأ شيئًا فشيئًا بالتفكير في أمور أخرى. ولكن بمجرّد أن يضع هذا العظيم رأسه على الوسادة ويموت، يلطم المرء رأسه بيديه، وكما يقول المرحوم العلامة: يجب أن نمسك سراجًا وشمعًا وندور حول العالم لنجد أمثال هؤلاء، حينها نفهم أنّ هذه النعمة لم يكن لها نظير.

في ذلك الوقت كان البعض يطرحون: لو شعرنا بوجود وليّ آخر للّه في الطرف الآخر من الأرض، فما هو تكليفنا؟ لكي نتأكّد أنّ السيّد فلانًا من أولياء اللّه، فهل علينا أن نذهب ونبحث لنرى هل يوجد ولي آخر للّه؟ هل

يوجد شخص آخر؟ هل هناك فرق بين هذا وذاك؟ من كان يقول هذا الكلام؟ أولئك الذين كانوا يقولون لي: نحن الآن نقلّد السيد الخوئي لأنه أعلم من الناحية الفقهية، وبمقتضى التكليف يجب تقليد السيّد الخوئي أو المراجع الآخرين! أوّلاً، لا شأن لنا بصغرى القضيّة، هل كان هو (السيد الخوئي رحمه الله) أعلم أم لا؟ كلا، لم يكن أعلم من المرحوم العلامة. و**المرحوم العلامة** لم يكن أعلم في الأصول والفقه فقط، بل وفي سائر العلوم التي لم يكن الكثير من هؤلاء على اطلاع عليها أصلاً، كالمسائل الفلسفيّة والعرفانيّة ومسائل التاريخ والكلام. يوجد الآن أفراد لم يقرؤوا صفحة واحدة من الفلسفة.

من أحوال الشيخ مرتضى الحائري رحمه الله

رحم الله المرحوم الشيخ مرتضى الحائري الذي كنت من تلامذته ودرست عنده الفقه لعدّة سنوات، كنت أقرأ المكاسب المحرمة والبيع وهذه الكتب، وحقًّا له فضل كبير عليّ. كنت أناقشه أحيانًا، خاصّة بعد الدرس عندما كنت أذهب و أجلس في خدمته، فكان يعلو

الصياح، وأحيانًا يصل الأمر إلى درجة يقول فيها: اذهب واسأل أباك عن هذه الأمور! فأنا لا أفهمها. كان يحبّني كثيرًا رحمه اللَه، وكنت أذهب معه كثيرًا إلى أماكن مختلفة، فأحيانًا إلى طهران، حيث كان يذهب إلى الطبيب، وكان يزور منزل **المرحوم العلامة** وكنت أبقى في خدمته. أذكر مرّة أنّني سألته بين قم وطهران عن مسألة حدود ولاية الفقيه، فقال في أوّل كلمة: أنا لا أؤمن بهذه الأمور. ولم يدعنا نفتح باب النقاش. كان قلبه يؤلمه أيضًا وكنّا نخشى أن يحدث له شيء، فكنّا نقول: حسنًا، ونبدأ بموضوع آخر. رحمه اللَه. كان يقول: أنا أصلاً لم أدرس الفلسفة.

دع عنك أن **المرحوم العلامة** كان صاحب رأي في كثير من هذه العلوم، وفي الفقه والأصول أيضًا كان أعلم منهم. ويعلم الزملاء في المباحثات التي نجريها مع الأصدقاء أننا في طرحنا للمطالب نتباحث كطلبة علم ولا ننظر إلى فلان أو فلان أو مقامه ومنزلته، فالطالب بحثه حرّ. ومن الواضح أن رؤية **المرحوم العلامة** للمسائل الفقهيّة تختلف اختلافًا فاحشًا.

كان يوجد بين تلامذة **المرحوم العلامة** أفراد يحملون مثل هذه الأفكار المنحطّة؛ منحطّة ومثيرة للضحك. أذكر في الأواخر، قبل شهر أو شهرين كنا نبحث فيهما مسألة الاجتهاد والتقليد، حينها فقط أدركوا أن مسألة الأعلميّة تختلف اختلافًا ماهويًّا عما يُطرح، وأنّ بحث الأعلميّة شيء آخر يختلف عما شوهد وسُمع. و**المرحوم العلامة** كان يتعامل مع كلّ هؤلاء، يحضر جلساتهم ويحضرون جلساته، على هذا المنوال.

عندما تكون هنا عند وليّ اللَه وتشعر بالطمأنينة، فما معنى أن تفكّر في شخص آخر أصلاً؟ هل تعلم ماذا يعني هذا الكلام؟ يعني أنني هنا لا أشعر بالطمأنينة ولا أكتفي، وأعاني من نقص، وأبحث عن رفع نقصي بالذهاب إلى شخص آخر. ولنفترض أنّك وجدت الشخص الثاني ستقول: ربّما يوجد شخص ثالث، فلنذهب إلى الشخص الثالث في أستراليا، في الشرق الأقصى والأدنى والأوسط، في الجبال والسهول والوديان. وإذا وجد الثالث سيقول: ربما يوجد رابع أتى بشيء جديد، وهلمّ جرًّا، خائبًا خاسرًا،

الناس حيارى...، وهكذا يقضي أيامه في حيرة وشك، حتّى يدركه الموت.

الاستقامة مفتاح الوصول بعد معرفة الحقّ

يجب أن يكون المؤمن مستقيمًا في مسيرته. فعندما يتمكّن من الوصول إلى رؤية متوازنة حول موضوع ما عن طريق المنطق الذي هو الحجة الباطنيّة، وعن طريق الأدلة الظاهريّة، فعليه أن يعمل بمقتضاها، وينتهي الأمر. وليّ اللَه يمكن أن يُفهم في هذا السياق، والإمام لو جاء يمكن أن يُفهم في هذا السياق، والنبيّ لو بُعث حيًّا يمكن أن يُفهم في هذا السياق، والرفيق السلوكيّ والرفيق غير السلوكيّ والأفراد العاديّون كلهم يمكن أن يُفهموا في هذا السياق، لماذا؟ لأنّ المدرسة مدرسة حقّ، والجميع خاضع للحقّ، والحقّ يهضم الجميع في ذاته ويستوعبهم جميعًا، ولا يُبقي أي صورة للتعيّن الاستقلالي. الحقّ بتلك السعة التي له، يستوعب الجميع، لديه القدرة على استيعاب كلّ القضايا، لديه القدرة على التعامل مع كلّ القضايا.

اليوم يُطرح موضوع باطل ولا أساس له، يقولون: الإسلام دين عالمي. نعم، لا خلاف في هذا، والإسلام دين للعالم كلّه وليس لطائفة خاصّة، نعم، نقبل بهذا أيضًا، والإسلام دين لجميع الأمم والأفراد والنحل والطوائف، الفقير والغنيّ والعالم والجاهل والسلطان وغير السلطان، والوزير والمحامي والتاجر، كلّ هؤلاء في أيّة بقعة من بقاع الدنيا، دين الإسلام هو خاتم الأديان ونبيّنا صلّى الله عليه وآله خاتم النبيّين، وهو يشمل الجميع، إلى هنا الكلام تامّ.

من هنا يبدأ الأمر الباطل: بما أنّ الإسلام دين عالمي، إذن يجب أن يكون قادرًا على التكيّف مع جميع عادات الأمم! ماذا حدث؟ كلاّ! من قال إنّه يجب أن يتكيّف؟ كون الإسلام دينًا عالميًّا شيء، وكونه يجب أن يتكيّف مع الآخرين شيء آخر. هذا من اختراعاتكم، الآخرون هم من يجب أن يتكيّفوا مع الإسلام. هذا ليس معنى العالميّة إذن. عالميّة الإسلام تعني: أنّ جميع الأفراد من زمن بعثة

النبيّ صلّى اللَه عليه وآله إلى قيام الساعة، ظهور الإمام عليه السلام وبعد ظهوره، حتّى قيام الساعة، حتّى الموت، كلّ الذين يولدون في الدنيا ويحملون اسم إنسان، هم بحاجة إلى قوانين الإسلام لسعادتهم وكمالهم ورفع نقائصهم واستكمال استعداداتهم والوصول إلى الفعليّات، لا أنّ قوانين الإسلام تتكيّف معهم. وبناءً على هذا الفهم الخاطئ، تصدر فتاوى باطلة ومخالفة تقول إنّ أحكام الإسلام لا تنحصر في مجموعة من السنن الموجودة في بعض القبائل، بل يجب أن تأخذ بكلّ السنن. فعلى سبيل المثال، لو افترضنا أنّ القبيلة الفلانيّة لا ترتدي النساء فيها العباءة أصلاً، ونساؤها يخرجن سافرات ـ وطبعًا العباءة ليست واجبنة المهمّ هو الحجاب ـ فالإسلام لهنّ أيضًا، وهنّ يجب أن يسلمنَ، وليس ضروريًّا أن يرتدين الحجاب، بل حتى لو خرجن عاريات تمامًا فلا مشكلة! فالإسلام عالميّ! وتلك القبيلة مسلمون أيضًا وحجابها هو هذا. حسنًا، لنرى الآن إلى أين سينتهي بهم ترك الحجاب وماذا يريدون أن يظهروا أكثر؟! فلو كان أمرهم

في الحجاب أن يخرجوا "كيوم ولدتهم أمّهاتهم"، فهل إسلامهم سيكون هكذا أيضًا؟! وفي القبيلة الفلانية والبلد الفلاني لديهم عادات وعلاقات اجتماعيّة فيما بينهم، ولها تبعات أخرى أيضًا، والإسلام لا يمنع تلك العلاقات. شكرًا جزيلاً لكم! ولنفترض أنّه في البلد الفلاني، يؤمنون ببعض المساواة في علاقاتهم فيما بينهم، فيما يتعلق بالإرث والعلاقات الاجتماعيّة والعلاقات بين الرجل والمرأة والأحكام بينهما، وبما الإسلام عالميّ أيضًا! فسيكون ميراث المرأة نصف ميراث الرجل في إيران أو لبنان أو العراق، ولكنّه سيكون هناك متساويًا مع ميراث الرجل، فالإسلام عالميّ! فهل هذا معنى عالمية الإسلام؟!

"حلال محمّد حلال وحرامه حرام إلى يوم القيامة": ثبات الأحكام الشرعيّة

كلا يا سيّدي، هؤلاء مخطئون. عالميّة الإسلام تعني أنّ: «حَلَالُ مُحَمَّدٍ حَلَالٌ أَبَدًا إِلَى يوْمِ الْقِيامَةِ وَ حَرَامُهُ حَرَامٌ أَبَدًا إِلَى يوْمِ الْقِيامَة»[1]. ما جاء به رسول الله صلّى الله عليه وآله، سواء بصورة جزئيّة أو كليّة، مع الحفاظ على الملاك

[1] الكافي، ج ١، ص ٥٨.

نفسه والمناط نفسه في الأحكام، يبقى حلالاً أو حرامًا إلى يوم القيامة. فإذا كان الإسلام دينًا عالميًا، والعلاقات والمعاملات في كثير من البلدان قائمة على الربا فقط، فلماذا حرّمه الإسلام؟! إذن يجب أن نقول إنّ الربا حرام في البلدان غير الأوروبيّة! وهناك يصبح حلالاً!

الدين ومحاربة السنن الباطلة: قصة النبيّ إبراهيم (ع) والأصنام

إنّ ماهيّة الدين نفسها، بصرف النظر عن الإسلام، تكمن في محاربته للسير الخاطئة والعادات والتقاليد الباطلة. فكلّ دين يأتي يدخل في صراع ونزاع مع العادات الباطلة والسير الباطلة والسنن الباطلة الرائجة بين الناس، سواء كان ذلك في دين موسى عليه السلام أو إبراهيم عليه السلام أو عيسى عليه السلام. فإبراهيم عليه السلام لم يكد يظهر حتّى أخذ الفأس وراح يحطّم كلّ الأصنام، لم يقل إنّ السنّة هنا هي عبادة الأصنام، فاعبدوا الأصنام واعبدوا اللّه أيضًا، فدين إبراهيم عليه السلام دين عالميّ وهؤلاء يريدون عبادة الأصنام! ما شأنكم بهم؟ كلا! عبادة الأصنام ستؤدّي إلى محو استعداداتك، عبادة الأصنام

ستؤدّي إلى التغطية على تجرّدك، ستسلب منك نور التوحيد، ستمنع عنك حقيقة التوحيد، تلك الفعليّات التي قدّرها اللَه لتربية استعداداتك، ستزول كلّها بعبادة الصنم. فلماذا جاء إبراهيم عليه السلام إذن؟

الوأدُ المعاصر: حرمة الإجهاض وقدسيّة الحياة منذ التكوين

وكذلك عيسى وموسى عليهما السلام والأئمة عليهم السلام والنبيّ صلّى اللَه عليه وآله، كلّهم قاموا لمحاربة سنن الجاهليّة. سنن الجاهليّة ليست فقط وأد البنات، فإسقاط الجنين هو أيضًا وأدٌ وهو موجود الآن، لا فرق. لا فرق بين إسقاط الجنين قبل أربعة أشهر أو بعدها، كلاهما حرام وفيه دية، لا فرق أبدًا. ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾[1]. سواء كان ذلك يتعلّق بالموؤودة في زمان الجاهليّة حيث كانوا يدفنون الطفلة ذات الأربع أو الخمس سنوات تحت التراب ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـٰنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾[2]،

---

[1] سورة التكوير (٨١) الآيتان ٨-٩.

[2] سورة الزخرف (٤٣) الآية ١٧.

﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ...﴾[1]. فعندما كانوا يخبرونه بأنّ زوجته ولدت بنتًا، كان يسودّ وجهه. الآن يقولون له: رُزقتَ بطفل؟ فيقول: أوه! أوه! أوه! تبًا لك! رُزقت بطفل؟ أسقطيه! أيّتها البائسة! اذهبي وأسقطيه! أنت لا تستطيعين تربيته أيتها المسكينة! فهذا هو الأمر نفسه. وآية القرآن تقول الكلام نفسه. أيقوم ويهرب من الناس ولا يُري وجهه لهم؟ كانت ولادة البنت في ذلك الوقت أمرًا قبيحًا جدًّا، لأنه كانت لدى العرب غيرة وحميّة يرون أنها تتنافى كثيرًا مع ولادة البنت، فمثلاً البنت تقع تحت سيطرة الآخرين، كانوا يرون ذلك سيّئًا جدًّا. طبعًا لم يكن الجميع كذلك، بل طائفة خاصة، وليس في كلّ بلاد العرب، بل طائفة خاصة في الجزيرة العربيّة. عندما يطالع الإنسان تاريخهم، لم يُكتب أنّ جميعهم كانوا كذلك، بل كُتب أن بعضهم كانوا كذلك. ﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ...﴾[2] يهرب أو يحفر لها قبرًا. نحن نسخر من هذه السنة، وهنا

---

[1] سورة النحل (١٦) الآية ٥٩.

[2] سورة النحل (١٦) الآية ٥٩.

نقول بأنفسنا: أسقطه! ليُسقط الطفل قبل أربعة أشهر، وإذا بلغ أربعة أشهر فلا بأس! هؤلاء الذين لا يفرّقون بين طفل الإنسان وبين الهرّة أو الكلب. لو أجهضت الهرّة ماذا نفعل؟ نلقيها في القمامة. لا يفهمون أبدًا أنّ هذا الطفل عندما تنعقد نطفته يصبح ذا نفس قدسيّة، وتلك النفس القدسيّة تتكامل عبر مراتب مختلفة. وبمجرّد أن تنعقد هذه النطفة ويتمّ اللقاح، الانعقاد يعني أن البويضة والحيوان المنوي كلاهما اتحدا وشكّلا وحدة واحدة، وعندما يتّحدان، تتعلّق بهما تلك الحقيقة الروحيّة الربطيّة من قِبَل الله تعالى. ولكن لكي تصل إلى مقام الإنسانيّة الكامل في هذه الدنيا، يجب أن تقضي عدّة أشهر في رحم الأم، حتى يشملها قوله تعالى: ﴿...وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى...﴾[1]. إذا أُسقطت في ذلك الوقت، فإنها تقطع هذه الدورة في البرزخ. لذا، ورد في الرواية أنّ الذين يُسقط منهم ولد، يكون أولادهم يوم القيامة على هيئة إنسان كامل. كم هو مهم أن يمسك الإنسان القلم ويفتي وهو

[1] سورة الحجر (١٥) الآية ٢٩.

على اطلاع بهذه المباني التوحيديّة، وأن ينتبه الإنسان، مع الأخذ بعين الاعتبار هذه المعارف، لما يقوله وما يكتبه وما ينشره في المجتمع من مواضيع. فالإسقاط

يشبه تمامًا ماذا؟ هو مصداق آخر لـ ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾[1]. لماذا أسقطته؟ أعصابك متعبة؟ حسنًا فليكن. لأن لديك أربعة أطفال؟ حسنًا فليكن، هذا هو الخامس، ما المشكلة؟

متى يُباح الإجهاض شرعًا؟

فقط في حالة واحدة يمكن للإنسان أن يقدم على هذا الفعل، وهي الحالة التي يكون فيها ضرر وخطر على الأمّ نفسها، فالشارع قد أجاز ذلك. وإلا، فلو قالوا إنّ هذه النطفة وهذا الجنين معيب وليس له يد، فليكن، لا بأس. لو ولد طفل وليس له يد أو كان ناقصًا، فهل يجب عليك ذبحه وإعدامه؟! تمرّ سنتان وثلاث سنوات ويصاب بعيب، فهل تذبحه؟! الشارع لم يُجز لنا إسقاط الجنين عندما يكون ناقصًا. لقد تعلّقت إرادة الله بأن يكون ناقصًا

---

[1] سورة التكوير (٨١) الآيتان ٨-٩

في رحم الأم، تمامًا كما قد يصبح هذا الطفل ناقصًا في الدنيا. فعلى الإنسان أن يؤدّي وظيفته، لا فرق أبدًا.

تطهير العين بالدموع: شرط رؤية المحبوب

فقالت نساءُ الحَيِّ تَطمعُ أن ترى * بعينِكَ ليلى؟**

مُتْ بِداءِ المَطامِعِ

أتنظر إلى ليلى بهذه العين؟ بينما ألقيتَ بهذه العين نظرة على أخريات؟ قلتُ إنه في زمن **المرحوم العلامة** كان لدينا أيضًا مثل هذه الأمور، هذه المسائل التي لا تساوي شيئًا يُذكر. أتنظر بتلك العين التي نظرتَ بها إلى الآخرين، في حالة كان يجب عليك أن تنظر فقط إلى ليلى وأن تتوجّه إليها وألا تُدخل أحدًا غيرها في ذهنك؟ «وَمَا طَهَّرْتَهَا بالمَدَامعِ». ولم تُطهّر تلك العين بالبكاء. ما هو البكاء؟ البكاء هو الاستغاثة، الإنابة، التوجّه، التذكّر، واللجوء الكامل والقطعي نحو تلك الذات المقدّسة والحقيقة التوحيديّة التي تزيل كلّ التعلّقات من وجود الإنسان.

نتابع الحديث عن الشعر والمواضيع الأخرى، إن شاء الله، في الجلسة القادمة...

اللَهمّ صلّ على محمّد و آل محمّد